سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة | السنة الثالثة | العدد 111 | 1 | تموز 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

معسكرات قتل الطفولة

من عرسال ومحاولة لتلوين حياة الأطفال اللاجئين رغم السواد

تنظيم الدولة يرتكب أكبر مجازره هذا العام في عين العرب

العلاقة بين العنصر والتنظيم العسكري

المنظمات الإغاثية ارتزاق أم قصر نظر!

يدي ممدوة إليك

منظمة إغتيال المستقبل أو مهرجانات خنق الإبداع

حزن النساء في لوحات الفنان صفوان داحول

كلمة مدير الدفاع المدني السوري

رائد الصالح في مجلس الأمن

السادة ممثلي الدول الأعضاء في مجلس الأمن

بداية أشكركم على دعوتكم الكريمة للدفاع المدني السوري (الخوذ البيضاء) لحضور هذه الجلسة لنقل رسالة فرق البحث والإنقاذ في سوريا حول معاناة المدنيين السوريين جراء تعرضهم للأسلحة العشوائية وخاصة البراميل المتفجرة.

لست سياسيا ولا دبلوماسيا وإنما أنا مجردعامل بحث وإنقاذ لذا اعذروني لصراحتي فيما أقوله فمأساة شعبي لاتحتمل مواربة في طرحها.

لقد تمكنا حتى الآن من إنقاذ أكثر من ستة عشر ألف إنسان في سوريا من تحت الأنقاض، ولكن للأسف فإن عدد المدنيين السوريين الذين ماتوا بسبب القصف العشوائي أكبر من ذلك بكثير.

لا أستطيع أن أصف لكم حياتنا اليومية ونحن نتعامل مع الأشلاء والدمار الذي تخلفه هذه الأسلحة وخاصة بعد أن أدخل الجيش السوري إليها غاز الكلور السام الذي سبق وصنفه هذا المجلس كسلاح كيماوي وحرم استخدامه!

في كل يوم يموت السوريون بمختلف أنواع الأسلحة ولكن البراميل المتفجرة هي السلاح الأشد فتكا بالمدنيين بسبب طبيعته العشوائية، إنها تدمر كل شيء، المدارس والمخابز والمستشفيات ودور العبادة وحتى المقابر، وبسببها فقد تحول صوت المروحيات في الأجواء السورية إلى مصدر رعب وهلع حقيقي لنا ولجميع المدنيين لأن ذلك الصوت يعني ترقب الموت دون أن يعلم أحد بدقة أين سيسقط البرميل ومن سيقتل!

مع دوي صفارات الإنذار نستعد للانطلاق إلى منطقة سقوط البرميل ونحاول بأدواتنا البسيطة أن نبحث عن العالقين تحت الأنقاض وفي أحيان كثيرة لانجد إلا جثث وأشلاء جيراننا وأصدقائنا وأحيانا أقربائنا

والرعب الذي نواجهه مضاعف مع اعتماد سلاح الجو السوري أسلوب الغارات المزدوجة حيث تعود الطائرة لتقصف نفس المكان بعد دقائق حينما تصل فرق الإنقاذ ويتجمع الناس لإنقاذ من تبقى.... ومع إصرارنا على أداء عملنا الإنساني رغم هذه الظروف الصعبة فقد أصبحت فرقنا ومراكزنا هدفا معتادا ومقصودا لقصف النظام، حيث فقدنا حتى الآن ٩٢ عنصرا من فرق البحث والإنقاذ معظمهم استشهدوا بالهجمات المضاعفة للبراميل بينما كانوا يؤدون واجبهم

في جميع بلدان العالم تحظى فرق البحث والإنقاذ والإسعاف بحصانة من القصف ولكن هذه ليست الحال في سوريا، فقبل بضع ساعات فقط أخبرني زملائي بان سيارتي الإسعاف الوحيدتين في قرية بليون في ريف إدلب قد تدمرتا بفعل غارة جوية وقد اصيب أيضا ستة متطوعين من الدفاع المدني.

الشهر الماضي طلب زميلي رئيس مركز الدفاع المدني في معرة الأرتيق في ريف حلب تمويه سيارات الإسعاف والإطفاء عبر طلائها بلون يخفي هويتها لأن لونها الأصلي بات يجذب مزيدا من القصف المتعمد! هل لكم أن تتخيلوا ذلك!

وهل لكم أن تتخيلوا يوما واحدا نعيشه؟

تخيلوا معي يوم الأول من حزيران، في ذلك اليوم استجبنا لهجمات ب ٤٤ برميلا متفجرا في مختلف أنحاء سوريا في حلب وإدلب ودرعا وحمص وريف دمشق، وسبع صواريخ وهجمة بغاز الكلور. ١٣٦ شخصا قتلوا منهم ١٨ طفلا وفقط ستة ضحايا لم يكونوا مدنيين!

حتى في أعراف الحروب، لايوجد أي مبرر لاستخدام هذا السلاح فحتى الطيار نفسه الذي يلقي البرميل لايعلم بدقة أين سيسقط لأنه سلاح عشوائي تماما، حتى أنه لايمكن استخدامه على جبهات القتال لأنه قد يصيب القوات الحليفة ولذلك يرمى في العمق داخل مناطق المعارضة

هذا السلاح يستهدف بشكل أساسي العقاب الجماعي للمجتمعات التي تخرج عن سيطرة النظام السوري بهدف تحويل حياتهم إلى جحيم وإيصال رسالة مزيفة للسوريين بأنهم لايمكن أن يعيشوا إلا تحت حكم عائلة الأسد.

وهو طبعا سبب أساسي لنزوح ملايين السوريين لدول الجوار وعائق فعلي أمام بناء سلطات مدنية فعالة على الأرض

ولاشك أن استمرار القتل العشوائي في سوريا باستخدام هذه البراميل وغيرها من الأسلحة الفتاكة وإعاقة بناء إدارات مدنية في المناطق المحررة مع غياب أفق لحل السياسي هو الوقود الأساسي الذي يغذي التطرف ويساعد على انتشاره

حضرات السادة

ماذا تتوقعون من سوري بسيط مثلي أن يطلب من هذا المجلس؟ هل نطلب مزيدا من سيارات الإسعاف التي سيدمرها النظام؟ هل نطلب مزيدا من معدات الحفر لسحب مزيد من الجثث والأشلاء ودفنها؟ أم هل نطلب قرارات إدانة جديدة تضاف إلى القرارات السابقة التي وقعتم أنتم عليها ولازال بعضكم يمد النظام بالدعم السياسي والمادي والعسكري بما في ذلك قطع الغيار لطائراته التي يستخدمها في رمي هذه البراميل وقتل مزيد من السوريين؟

لقد فقدت الشرعية الدولية مصداقيتها أمام السوريين في ظل غياب إرادة سياسية لوقف القتل في سوريا وتحول مجلس الأمن في أعين المعذبين إلى مجلس اللا أمن بسبب عجزه عن احترام قراراته.

إن الشعب السوري الذي يقتل كل يوم يحملكم المسؤولية يا سادة ويطالب باتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بوقف القتل فورا في سوريا وبخاصة الاسلحة العشوائية.

إنني كسوري وطني ماكنت لأتخيل نفسي يوما أطالب بتدخل أجنبي في بلادي لا برا ولا جوا، ولكن أرواح الأبرياء من النساء والأطفال الذين نراهم يموتون بين يدينا كل يوم تدفعنا إلى طلب أي تدخل ممكن لوقف آلة القتل الهمجية التي يقودها بشار الأسد بما في ذلك منع الطائرات السورية وخاصة الحوامات من التحليق وإلقاء حممها.

أمام السلطة الأقوى في هذا الكوكب لا يسعني أن أطلب إلا أن تحكموا ضمائركم وتقولوا لي ماذا أنتم فاعلون لوقف هذه البراميل؟

بصراحة شديدة أقول لكم إنني ترددت كثيرا قبل القدوم إلى هنا، وقد سألني العديد من زملائي لماذا أنت ذاهب؟ ماذا تتوقع منهم؟

أتمنى أن أتلقى منكم إجابة احملها معي.

وشكرا

معسكرات قتل الطفولة

دانيا معلوف

كان قدرا للثورة أن تبدأ مع الأطفال وأن تدور عجلتها بهم حتى أصبحوا وقودها، بدءاً من درعا ومرورا بجمعة أطفال الحرية وليس انتهاءا بآلاف الشهداء والجرحى والمشردين والأيتام منهم، ومع استمرار الثورة بعامها الخامس كانت حياة الملايين من الأطفال تدمرت وتعرض جيل كامل لخطر فقدانه الى الأبد.

ليس القتل والتهجير والحرمان من التعليم وحتى الاعتداءات الجسدية والجنسية من يلاحق الطفولة وينهي معانيها، فالتجنيد العسكري أيضاً وغسيل الأدمغة يضاف إلى تلك التجاوزات بحق الطفولة، وحيث يُعتبر الطفل مشروعا استثماريا ناجحا، بإمكان أي جهة استغلاله فكريا وتجنيده في ظل الغياب الشبه تام لدور المؤسسات التعليمية، وفي ظل صراع ايديولوجي ومناطقي خفي بدأت معالمه ترتسم بشكل واضح مؤخرا، وربما أيضا استغلال الحاجة المادية لذوي الأطفال، لتستبدل قيم الطفولة والبراءة بالبندقية، ولتبدأ معسكرات التجنيد بالانتشار بشكل موسع وعلني.

وانطلاقا من ضخامة حجم الاستثمار في عقول الأطفال، استندت أطراف النزاع جميعها على قيم الواجب الوطني والديني في البناء الايديولوجي لمعسكراتها، فمشروع كبير كهذا يتطلب شعارات رنانة غير قابلة للنقاش، تخرج كل من يخالفها من بوتقة الوطن أو الدين، فابتداء من معسكرات أشبال الأسد التي أقامتها قوات النظام لاستقطاب الأطفال في المناطق التي تسيطر عليها، وليس انتهاء بمعسكرات أشبال الخلافة والتوحيد، كان قدرا على الطفل السوري أن ترتسم معاناته بطابع وطني مقدس، يرسم مصيرا مجهولا بدايته الموت وخاتمته الموت أيضا، ولا يمت بأي صلة لا للطفولة ولا للمجتمع المدني.

الطفل(أحمد، ق) يبلغ من العمر 16 عاما من حي عين اللوزة بمدينة حماة، كان له تجربة قاسية في هذه المعسكرات، وفي حديث خاص لمجلّة زيتون أفاد أحمد:

« في عام 2014، أوقفني حاجز الاتحاد العمالي بحي المحطة بمدينة حماة، عناصر الحاجز بدأوا بالتفتيش والتدقيق، وسرعان ما بادروا بالمزاح معي لطمأنتني، بعدها عرضوا علي الانضمام إلى صفوفهم، الملازم أبو جعفر المسؤول عن الحاجز بدأ يسرد لي قصص الوطنية و التضحية، وأنه يتوجب علي الالتحاق بهم دفاعا عن الوطن، وأشار أيضا إلى أن قامتي الطويلة و جسدي الضخم نوعا ما يؤهلني لأكون مقاتلا في الصفوف الأولى، وأردف ذلك بعرض مغري بمرتب شهري يصل حتى 15 ألف ليرة سورية شهريا، وهو مبلغ يعادل تماما مرتب والدي، ترددت بداية لكني سرعان ماقبلت انطلاقا من خوفي من رفض طلباتهم المتكررة و طمعا مني في مساعدة والدي من خلال مرتبي، بعد شهر من الانضمام إليهم تلقينا مهمة بالتحرك إلى سهل الغاب بحماة، تم استهداف الرتل الذي كنت ضمنه من قبل الثوار باستخدام الألغام، قتل عدة عناصر من الرتل و أصبت أنا بجروح خطيرة تم على اثرها بتر ساقي اليمنى، لأعود إلى منزلي طريح الفراش لعدة أشهر دون الحصول على أي تعويض من الجيش لقاء خدمتي»

بناء على تجربة أحمد وقصته التي تبين حجم الاستغلال الممنهج للطفولة، يتضح لنا أن الطفل بلغة البندقية ليس إلا رقما، ولعنة الحرب مولعة بالأرقام التي لا تنتهي.

وبالانتقال إلى تجربة أخرى بنيت على الواجب الديني المقدس، ذاك الواجب الذي أساء أصحابه فهم أبسط تجارب الانسانية لينقلوا الدين بغلاف ملائكي يحتم على الجميع الانصياع دون أي تفكير، وليكون التكفير هو الايديولوجيا البعثية المناهضة لأي محاولة للتفكير.

الطفل (محمود. ع) من قرية الدانا بريف ادلب يبلغ من العمر 14 عام، يروي لنا أيضا قصة اندماجه بمعسكر شرعي وتدريبي أقامته احدى الجماعات الاسلامية المسلحة في قرية الدانا، يفيد محمود لمجلة زيتون:

« أرسلني والدي للإلتحاق بمعسكر شرعي وتدريبي، فالمدارس في القرية مغلقة منذ سنوات، إلتحقت بالمعسكر لثلاث شهور، في المعسكر يوجد عدة شيوخ، يقومون بتدريسنا بشكل يومي عن الجهاد والقتال، ويوزعون علينا هدايا للمتفوقين، الكثير من الأطفال الملتحقين في الدورة لايفهمون ماذا يلقي عليهم الشيخ، فجميع الخطب تقريبا تتحدث عن القتال والحرب، في مدرستي كنا ندرس الرسم والرياضيات والقراءة والقصة، هنا في هذا المعسكر لاتوجد هذه المواد، فقط هناك الحديث عن القتال»

الطفل محمود مازال في المعسكر، يتلقى بشكل يومي دروس حول واجب القتال والبندقية، ومن كلمات محمود البريئة التي صاغتها طفولته السليبة، يتضح لنا بشكل كبير احساس الطفل محمود بالغرابة، وبأن هذا المكان ليس له، أو أنه وجد فيه بالغلط، كلمات محمود قدمت أسئلة كثيرة بدل الإجابة.

وعلى مايبدو أن أسئلة محمود لن تجد إجاباتها عند أطراف النزاع، وأن الموت الجسدي والفكري هو المصير المنتظر لفلذة أكبادنا التي علقنا عليها آمالنا في وطن سليب.

تنظيم الدولة ينفذ أكبر مجازره هذا العام في مدينة عين العرب

محمد علاء

بعد خمسة أشهر من سيطرة القوات الكردية المتمثلة ب «البي واي دي» الجناح العسكري لحزب العمال الكردستاني في سوريا و «البشمركة» قوات حماية اقليم كردستان في العراق وقوات من الجيش السوري الحر على مدينة عين العرب «كوباني» الحدودية مع تركيا بعد معارك سرشة جدا استمرت لأسابيع قام خلالها التحالف العربي الغربي بعمليات قصف مكثفة على المدينة ومحيطها استهدفت مواقع تنظيم الدولة وخطوط امداده بناءً على احداثيات قدمتها لهم الوحدات الكردية عن مواقع التنظيم في المنطقة.

انسحب التنظيم من المدينة مهزوماً تاركاً خلفه عشرات القتلى من المهاجرين وقوات النخبة لديه جراء قصف التحالف كما خسر المئات من القرى الواقعة في محيط المدينة خلال أسابيع قليلة.

قام تنظيم الدولة الاسلامية بتاريخ 24-6-2015 ببدء هجوم تكتيكي نوعي على مدينة عين العرب «كوباني» حيث قام التنظيم بادخال مجموعتين رئيسيتين من مقاتليه الى مدينة عين العرب معتمدا أساليب التمويه، توجه الرتل الأول من مدينة «جرابلس» غرب شمال حلب و قام بإلباس عناصره لباس المقاتلين الأكراد «بي واي دي» ورفع أعلام الحزب على سياراته وحلق ذقونهم وتوجهوا الى المدينة حيث استطاعو الدخول عبر إيهام الحواجز في المنطقة أنهم من الأحزاب الكردية، والقضاء على الحواجز الأخرى التي كشفت حقيقتهم.

فيما توجه الرتل الأخر من ريف «تل أبيض» شمال الرقة باتجاه عين العرب حيث قام عناصر التنظيم بالتنكر بزي شبيه بزي الجيش الحر في المنطقة واستطاع الدخول الى المدينة، فيما وردت معلومات أخرى عن دخول عناصر التنظيم الى مدينة كوباني عبر تنكرهم بأزياء مدنيين أكراد (تم تهجيرهم من مدينة الرقة مؤخرا) واستطاعوا الدخول للمدينة بواسطة هذا التمويه ويجب التنويه الى أن التنظيم يملك اعداد كبيرة من مقاتلين أكراد يتكلمون الكردية مما سهل عليهم هذه العملية وخداع الحواجز في المدينة.

بعد دخول هاتين المجموعتين الى مدينة كوباني قام التنظيم بتفجير عدة سيارات مفخخة في المدينة استهدفت معبر «مرشد بينار» مع تركيا وعدة مناطق حيوية في المدينة وأبنية تتحصن فيها الوحدات الكردية، في حين انتشرت سيارات التنظيم في المدينة وقامت بعمليات اطلاق نار عشوائي باتجاه أي شخص يتم مشاهدته في الشوارع في حين تمركز قناصو التنظيم على أكثر الأبنية الحيوية واستطاعوا شل حركة الوحدات الكردية.

أدت العملية الى مقتل واصابة المئات من المدنيين حيث قدرت الأعداد الأولية بألف جريح وقتيل في المدينة ومحيطها,كما نزح من استطاع الى المناطق الغربية من المدينة في حين تمترس من بقي في منزله خوفا من الخروج والموت قنصا على أيدي مقاتلي التنظيم.

وتمركز عناصر التنظيم في عدة أبنية حيوية منها «مشفى النور-مدرسة البنين-بناء على طريق حلنج كوباني-المركز الثقافي» وفتح ثقوب في جدرانها لعمليات القنص والاشتباك القريب بما ينبئ بوجود ذخائر ومؤنة تكفي التنظيم، ومع تقدم قوات أخرى للتنظيم في ريف عين العرب باتجاه المدينة، واستمرت المعارك وحالات تبادل اطلاق النار بين الوحدات الكردية ومقاتلي التنظيم حتى اليوم التالي، والذي انتهى بمقتل كل انغماسي التنظيم، وأسر مقاتل منهم من جنسية عربية، لينكشف بعدها هول المجزرة التي ارتكبها التنظيم، والتي راح ضحيتها اكثر من 228 شهيداً ومئات الجرحى من المدنيين، وسط تكتم كبير عن خسائر الوحدات الكردية، والتي أستهدف احد مقارها بسيارة مفخخة بالقرب من المعبر الحدودي مع تركيا والذي يسمى مرشد بينار.

قوة اختراق من التنظيم وضعف أمني من الوحدات

أثبت تنظيم الدولة مقدرته على العودة الى أي منطقة يخسرها، ضمن عمل انغماسي مخابراتي بحت، كيف لا وهو الذي استطاع اختراق التشديد الأمني لبعض الدول وتنفيذ عمليات في داخلها، كان أخرها كل من دولتي تونس والكويت، مستفيداً من خبرته السابقة التي اكتسبها من حروبه في العراق ضد القوات الأمريكية، ومن بعدها ضد القوات الحكومية العراقية، وهي خبرة ورثها تنظيم الدولة من تنظيم القاعدة الذي كان يقوده أسامة بن لادن.

وفي المقابل، أظهر الهجوم الأخير القوات الكردية ضعيفة جداً على حفظ أمن واستقرار المناطق التي تسيطر عليها، وذلك بسبب ضخامة الهجوم، وكشف افتقارها الى عناصر كافية لتغطية كل المساحات التي بينها وبين التنظيم، الذي استفاد من تلك المساحات لإدخال المقاتلين والسيارات المفخخة.

يضاف الى أسباب نجاح التنظيم انشغال العناصر الكردية بالسيطرة على مدينة تل أبيض وبلدة عين عيسى بريف الرقة الشمالي، والحالمين بوصولهم الى مدينة الرقة، معقل التنظيم وعاصمته الكبرى.

ومن المؤكد أنه لولا ضربات التحالف، الذي يقصف التنظيم بكثافة في المناطق التي تتوجه اليها تلك الوحدات ما كانت لتصل الى ما وصلت اليه ما يجعل التنظيم ينسحب دون أي اشتباكات مثلما حصل في مدينة تل ابيض بريف الرقة الشمالي.

التنظيم يخسر مدينة تل أبيض وبلدة بريف الرقة

وكانت وحدات حماية الشعب الكردي مدعومة بغرفة عمليات الفرات و طائرات التحالف العربي الدولي، قد نجحت في بسط سيطرتها فجر يوم الثلاثاء 16 من الشهر المنصرم، على مدينة تل أبيض الاستراتيجية على الحدود السورية التركية بريف محافظة الرقة الشمالي، و ذلك بعد انسحاب مقاتلي التنظيم منها، بعد تلقيهم ضربات مكثفة من طائرات التحالف، وتعد خسارة تل أبيض ضربة قوية للتنظيم لاسيما وأن المدينة شكلت طريقا رئيسا للإمدادات ونقل المقاتلين والأسلحة الى مدينة الرقة الواقعة على بعد حوالي ثمانين كيلومترا، بالتزامن أيضا مع خسارته للواء 93 قرب بلدة عين عيسى، والتي لا زال التنظيم يقاوم ببعض مناطقها.

وبعد خسارة التنظيم لتلك المساحات الواسعة بسرعة كبيرة، ظهر تخوف كبير لدى أهالي مدينة الرقة، من تقدم القوات الكردية وتنفيذها عمليات انتقام وتهجير وتطهير للمدينة، خصوصاً بعد الأنباء الواردة عن قيام القوات الكردية بتهجير العرب من المناطق التي يسيطرون عليها، وتهجير التنظيم للكرد من مدينة الرقة، كما قام التنظيم مؤخراً بنقل عوائل قياديه الكبار الى مناطق سيطرته في ريف حلب الجنوبي الشرقي، والذي يعتبر الملاذ الأمن للتنظيم، والذي يخضع لاتفاق ضمني بين النظام السوري والتنظيم، باستبعاده من أي عمليات قصف أو اشتباكات من الطرفين.

من عرسال... فريق شباب الإحسان يلون حياة الأطفال اللاجئين رغم سواد المعاناة

حازم حسون

خلال ما يقارب السنة تحول اسم «عرسال» إلى عنوان رئيسي لأغلب وسائل الإعلام العالمية والعربية، المدينة الصغيرة بحجمها، اتسعت لما يقارب ضعفي سكانها، لاجئين سوريين تجاوزوا الحدود هرباً من الحرب وجحيم مدافع وطائرات النظام السوري، تصارع فيها سياسات العالم العربي، وأدرك منها العالم حجم معاناة اللجوء السوري، إلا أنه اليوم هنالك لحظة أمل صنعها فريق سوري بسيط بإمكانياته ولون حياة الأطفال اللاجئين في صميم قتامة الموقف.

بداية الفريق من وحي الحاجة

خطوط حمراء صغيرة، ودوائر، يرسمها الأطفال، تخلق شكل وردة صغيرة على أحد الخيم الباردة في شتاء عرسال المميت.

تعمد مجموعة من الشباب خلق تلك الوردة طالما أنها صناعة الأمل.

صيف عام 2014 كانت الأكثر حراً في عرسال، حرب كان أضعف أطرافها اللاجئين حيث لا معين لهم وهم أكثر من خسر، خرجت على إثرها الغالبية الساحقة من المنظمات الإنسانية والدولية العاملة في إغاثة اللاجئين.

المشهد كما يقول أعضاء فريق الإحسان التطوعي «بدا قاتماً» فلا منظمة يعتمد عليها اللاجئون ولو قليلاً بقيت، ولم يبق وهو ما شكل بداية تشكيل فريق الإحسان.

عبد الله الطويل الناشط في مجال العمل الإنساني والدعم النفسي يقول:

«تطوعت لخدمة اللاجئين السوريين منذ حوالي سنتين في عرسال وبفضل خبرتي في العمل الإنساني والإغاثي والدعم النفسي تمكنت من تأسيس فريق الإحسان التطوعي واستطعت بعدها أي قبل ما يقارب السنة من جمع ما يقارب العشرة شباب وفتيات لنطلق نواة فريق شباب الإحسان التطوعي».

الفريق وصل لـ3 آلاف طفل وثلث لاجئي عرسال

ورغم صعوبة الظروف وتحديداً المعيشية، بدت استجابة اللاجئين السوريين في عرسال لفريق شباب الإحسان في تطور، وبدأ بعدها الفريق بحصد النتائج من خلال مشاركة الأطفال على وجه الخصوص.

يشرح عبدالله الطويل مؤسس فريق شباب الإحسان التطوعي لـ «جريدة زيتون» بعض الأعمال التي أنجزها الفريق حيث يقول: «تمكنا من الوصول في مساعدتنا إلى ثلاثين مخيم ما يعادل ثلث مخيمات عرسال فيما بلغ عدد الأطفال المستفيدين من حملات الفريق ثلاثة آلاف طفل».

التوجه للأطفال بد السمة البارزة للفريق حيث خصص معظم حملاته لدعم الأطفال إن كان بطريقة نفسية أو مادياً عبر مستلزمات معينة حيث يوضح عبدالله الطويل: «نفذنا حتى الآن حملة لتوزيع الأحذية الرياضية الممتازة لـ 1500 طفل، وحملةكنزات شتوية ممتازة لـ 500 طفل وحملة كسوة شتاء لـ 1300 طفل بالإضافة إلى تقديمنا نظارات طبية لـ 50 شخص».

فيما شارك الفريق أطفالاً لتحفيزهم على الإبداع وصناعة محتوى خاص بهم وهو ما يشير إليه أعضاء الفريق بقولهم: «نفذنا حملات تطوعية مثل الرسم عالخيام وزيارةالمدارس وتقديم الدعم والترفيه للأطفال».

تحفيز خيال الطفل عبر الرسم بدا إشكالية، خصوصاً وأن في ذهن الأطفال صوراً -ومازالوا يحملون- لما حصل في سوريا وللحرب التي عانوا منها، وحتى خلال انتقالهم إلى لبنان والعيش في خيام، إلا أن أعضاء الفريق عمدوا على دعم الأطفال نفسياً بخلق صورة أكثر تفاؤلاً وأملاً في خيالهم بعيدة عن تخبطات السياسة.

في هذا الصدد يقول عبدالله الطويل «الرسم عالخيم أعطى الأطفال مساحة حرية كبيرة فشادر الخيمة طوله /6/ أمتاربارتفاع /3/ أمتار استخدموه كلوحة لرسم كل ما يحبونه أو يتخيلونه عن الجنة مثلاً».

في رسومات الأطفال بدت أيضاً أشجار وزهور و عصافير كتعبير صارخ عن رغبتهم بعيش السلام الذي لم ترغب بها آلة الحرب الطاحنة في سوريا.

من أين يحصل الفريق على دعمه؟

يبدو موضوع الدعم عموماً والدعم المادي تحديداً، قضية حساسة للكثيرين، وخصوصاً عندما يتعلق الدعم بالتبعية لجهة معينة وبالتالي تبني خطها ومسارها.

عن هذه النقطة يقول أعضاء فريق شباب الإحسان «نحن نتواصل مع فعاليات تطوعية سوريّة في الخارج وأناس لهم باع بالعمل الإنساني ونقوم بطرح أفكار مدروسة معإثبات حاجة المخيمات للشيء المطلوب ونقدم فواتير موثقة بذلك قبل وبعد القيام بالحملة وبصورة علنية».

يعتمد الفريق على الانترنت في شرح مراحل الحملة التي سيقومون بها وهو ماجعلهم يضمون «300» شخص مهتمين بالعمل الإنساني إلى «مجموعة عبر شبكات التواصل الاجتماعي» والتواصل معها لتوضيح كل شيء غامض في عملهم.

ثم يردف الفريق: «مثلا لاحظنا أن هنالك أطفال في بعض المخيمات ليس لديهم أحذية فقمنا بتصوير معاناتهم وطرحنا فكرة شراء أحذية لهم ثم جمعنا مبلغاً معيناً، اشترينا بعدها أحذية ثم وزعناها على أكثر المخيمات المحرومة والفقيرة بطريقة نشاط ترفيهي انتهت بحصول كل طفل على هدية وهو حذاء».

الناشط في المجال الحقوقي والإنساني فاروق الريّس يشير في ذات السياق «تشتيت المبلغ الذي يتم التبرع به عبر عدد من المتبرعين يعني أن يقلل من تبعية الفريق إلى جهة معينة أو شخص محدد، وعلى العكس الجمعيات أو المنظمات التي تتبع تمويل من شخص محدد معرضة للتبعية بصورة أكبر».

فيما يوضح الناشط فاروق الريّس بخصوص «فكرة توزيع المساعدات كجوائز مميزة جداً، حيث أنها تثير الأطفال للمشاركة في النشاط الذي هو بطبيعته خلّاق، وتنتهي بعدم إشعار الأطفال بأنهم محتاجين وبالتالي وجب إعطائهم المساعدة، وإنما إشعارهم بقيمة ما قاموا به، وأيضاً بقيمة ما حصلوا عليه».

هو ليس الأسلوب الوحيد الذي يعتمد عليه فريق شباب الإحسان التطوعي في دعم وتحفيز الأطفال، إلا أنه يجعل بمجمله «جيلاً ضائعاً» كما أسمته منظمات العالم، قادراً على التعبير والمشاركة في حياة ربما ستكون في المستقبل القريب أفضلاً.

العلاقة بين العنصر والتنظيم العسكري

حسين جرود

«أنا واثق أنهم يسهرون يومياً، ويلعبون الورق ويدخنون، وليس لهم أي علاقة بالفكر المتشدد، ولكنهم يريدون الخلاص بأي شكل، ويريدون مقارعة النظام وحماية أنفسهم وبلدهم بأي طريقة، بعد أن سدت السبل في وجههم».

بهذه الكلمات عبر أحد الشباب السوريين عن تأييده لتنظيمات قد لا تناسب طريقة تفكيره، ولا تسعى للدولة المدنية التي يريدها. هل نتحدث عن حالة من الفصام والشيزوفرانيا؟ أم أن الوقائع رمتنا في ظروف وفي لعبة أكبر منا، يجب أن نرضى فيها بدور المسيَّر أحياناً، فخياراتنا صعبة المنال ورؤانا مستحيلة التحقق؟

يقول الناشط بدر الدمشقي: «نعم، هي لعبة.لكن أن تكون أكبر منا هنا أختلف معك. من الممكن ان تتقاذف الكرة السورية كل أرجل اللاعبين (محليين و إقليميين و دوليين) لكن اللعبة تلعب على الأرض السورية، و الحكم: الشعب،فصاحب الأرض هو الذي يقرر من يبقى و من إلى زوال». هل اسقاط النظام يجب أن يمر بظروف كثيرة من التجارب العبثية القسرية والدوران بالمكان؟هل العنصر لم يعد له حول ولا قوة، وهو الحلقة الأضعف في سوق الدول والدعم والممولين؟

يقول الكاتب عمار الأحمد: «العنصر في التنظيم الجهادي، وباستثناء الجهاديين القادمين من الخارج أو بعض السلفيين ذوي التربية الأصولية القديمة، هو معارض للنظام ويريد إسقاطه، ويريد بناء دولة لكل السوريين. هذا العنصر تعرض طيلة أربعة سنوات مضت لكل أشكال الانتهاك، لكل أشكال الحرمان، ومنع عنه السلاح والمال والطعام، وبإيقاف الدعم اضطر مجبراً للذهاب إلى التنظيمات الجهادية.

ليست الجهادية خيار السوريين ولا خيار العناصر البسطاء في هذه التنظيمات، وهي مرفوضة مجتمعياً ومكروهة لما تفرضه من اكراهات وتسلط واستبداد يوازي النظام ويزيد، فهم يتدخلون بكل حركة يقوم بها الناس، خارج منازلهم وداخلها بل وحتى ما يدور في قلوب الناس، لذلك لا مكان للجهادية في سورية، وسبب وجود العناصر البسطاء فيها الآن: فقط الحرب وشح الموارد ويمكننا اضافة رداءة المعارضة وغياب البديل وتحول الصراع ضد النظام إلى حرب كاملة».

هذا التهديد الوجودي الدائم والحرب الشاملة التي يشنها النظام على الشعب أجبرت الثورة على التسلح، وأجبرت الأفراد على المقاومة والانضمام لأحد التنظيمات المسلحة.وإذا كنا نريد القول أن العلاقة بين التنظيم والعنصر خلال الثورة السورية ملتبسة ومتأرجحة ومؤقتة، ولا يعد الإيمان بأهداف التنظيم شرطاً لها، فربما كان هذا من البديهيات. انتقال عنصر بين تنظيمات وكتائب مختلفة، انتقال كتيبة أو مجموعة من لواء لآخر ومن حركة لأخرى، تغيير الأعلام في المقرات وعلى السيارات، كلها أمور كانت شائعة جداً.

يروي أحد العناصر قصة تركه للسلاح: «أثناء حصارنا لأحد الحواجز، انشق عنصر من الجيش، وساعدنا في السيطرة على الحاجز بالمعلومات والارشادات، وبعد أن أتممنا العملية، فوجئت بالعنصر مقتولاً لأنه علوي» قد يكون خطأً فردياً، ولكن هذه القصة جعلت صديقنا يترك السلاح فترة،قبل أن يضطر للعودة بسبب الحاجة لمصدر دخل. العنصر في التنظيم المسلّح المعارض،أو -بتعبير أدق- الثائر السوري الذي أجبر على حمل السلاح بسبب قمع النظام بعد أن ترك عمله أو دراسته، لا يملك الكثير من الحرية في اختيار التنظيم، أو اختيار فكره وطريقة عمله، إذاً فما جدوى العمل المسلّح؟

قالت الناشطة أليس مفرح: «أنا كوني علمانية لا أؤمن بالسلاح بوصاية الدين، السلاح بداية بيد الجيش الحر، كان من اجل مشروع التغيير الديمقراطي، لكن تجنيده للمال السياسي حول سورياً ضمن حزمة المصالح الدولية، لذا أرفض بعض التنظيمات لأننا لانريد استبدال استبداد باستبداد آخر».

وما بين تنظيم وآخر، وفرد وآخر تتنوع العلاقة بين الفرد والتنظيم. هل انضم العنصر للتنظيم بقناعته، أم كان الخيار الوحيد المتبقي أمامه؟ هل انضم من أجل أهداف التنظيم، أم من أجل إسقاط النظام فقط، وكأن التنظيم لديه مجرد وسيلة؟ هل التنظيم مصدر دخل لا أكثر بالنسبة للبعض؟

ما موقف أبناء الثورة من المنضمين لتنظيم الدولة بعد أن أعلنت الفصائل الأخرى معاداتها للتنظيم؟ وإذا كانت أغلب التنظيمات لديها هدف واحد ألا وهو: محاربة النظام، فإن تنظيم الدولة أثبت عداءه للثورة، وحوادث اعتداء التنظيم على عناصر جبهة النصرة وأحرار الشام والتنظيمات الأخرى كثيرة.

يقول الصحفي السوري أسعد حنا: «العناصر المنضمة لتنظيم الدولة نسبة كبيرة منهم كشبيحة النظام الذين تورطوا بخط معين ولم يعد من الممكن التراجع عما بدأوا به. بالتأكيد ما يقومون به لا يمت للإسلام بصلة، وانما هو تسييس وتحريف للدين.يختلف تنظيم الدولة عن الأحرار وعن النصرة، رغم تشابه التصرفات بين بعض الفصائل الا أنها تختلف من نواحي أخرى. أثبتت النصرة محاربتها للنظام الا أنها لا تتماشى مع فكر الثورة وإنما لها أهداف أخرى».مضيفاً: «ما يدور الآن من استغلال للدين الاسلامي هو نفسه ما تم من استغلال الدين المسيحي سابقاً في الحروب الصليبية، والمقاربة بينهم متشابهة جداً من حيث طرق التجنيد والترغيب والتحريف، فهي آونة مرحلية ستنجلي قريباً».

في رواية القوقعة، يعرض مصطفى خليفة قصة اعتقاله في سجن تدمر؛الذي غيِّب فيه لعقود مع آلاف من المعتقلين الاسلاميين.ويتعرض في ثنايا السرد لمجيء القائد المتشدّد أبو القعقاع الذي يقلب أوضاع المهجع رأساً على عقب،حيث يجمع حوله عناصر تنظيمه، ويتهم التنظيمات الأخرى بالتفريط بواجب الجهاد،وبأنهم أصحاب بدع،وينشب الخلاف بين السجناء حول قضايا عدة، من بينها: حكم الإعدام الذي أصدره بحق الراوي بتهمة الكفر. إلى أن يغادر المهجع:

«عادت العلاقة بين المتشددين وباقي المهجع لتصبح ودية، خاصة أن المتشددين بالعام شباب صغار السن أقرب إلى الطيبة والسذاجة، شرط ألا يقع بينهم أبو القعقاع أو صعصعة أو أبو قتادة!. بقوا هم الأكثر عطاءً وتضحية».

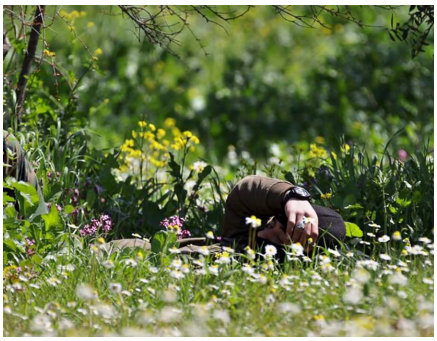

المنظمات الاغاثية، ارتزاق أم قصر نظر!

عبد الكريم أنيس

يبدو المشهد الحالي لمنظمات المجتمع المدني التي تعمل خارج الأرض السورية، وحتى بعضها من التي تعمل داخل الأرض السورية، أشبه بتحصيل المنفعة الصغيرة المؤقتة على أفضل حال.

تبهرك الكميات الكبيرة من النويشطة، التي خرجت ضمن الثورة السورية، والتي ارتضت أن تدخلها بناء على مكتسبات نفعية، حصلت عليها جراء مغادرتها للحدود السورية، لتستوطن أراض غير سورية قد تكون مجاورة أو بعيدة عن التراب السوري.

لا تستغرب صديقي الثائر، فالبحث عن الوظيفة واقتناص الفرصة، لم يترك لك مكاناً كي تمارس فيه ثورتك، بالطريقة التي لا ترضى فيها أن تكون مقيدة أو مرتبطة بأهداف بعيدة المدى، تربط قرار بلدك السيادي، الذي خرجت للمطالبة فيه حراً من الاملاءات والتعسفات والممارسات، فيجعل منك مرة أخرى مجرد أجير في دولة أردتها أن تكون دولة الكرامة والمواطنة والتشارك في صنع القرار، بات أمراً عسير المرام.

لا ريب قطعاً، ولا يحق لي، ولا لغيري، أن يحكم على جميع العاملين ضمن (منظمات) المجتمع المدني على أنهم مجموعة من الموظفين الذين استطاعوا ب»مؤهلاتهم» حجز مواقع التخطيط والانفاق للمساعدات التي تصل للشعب السوري المنهك من كل الجهات، ولكن يحق لي أن أوصّف المقدار من الانتفاع الذي لم يتحقق بغالبية كبرى للشعب السوري، خصيصاً لمن بقي في الداخل، الذي لم تتح له الفرصة للنجاة بنفسه، من هول القصف وقسوة المعيشة لأسباب مختلفة، منها عوز مادي، وأخرى ارتباط عضوي بالتراب السوري يصعب فراقه، وقدرية عقدية استسلامية معقدة الشرح ويصعب تغييرها.

إن التخطيط المرتبط بالأرض السورية، وحاجات أهلها، ذاك الذي يفهم أنماط تفكيرهم، السلبي قبل الايجابي، يدعو لتخطي مستوى الانتفاع الراهن والحالي المؤقت ليقوم بموائمة المصادر المالية، غير المتوافرة دوماً، فيغطي حاجات أكثر ديمومة ونفعاً للمواطن على المستوى البعيد، من ذاك الذي يتعامل بفكر ساذج وتنفيذي، قد يكون تم الباسه اياه مقصوداً من الجهة الداعمة، ليكون محصوراً ضمن قيد لا يمكن فكه عبر المنظور القريب، فيربط العاطي بالمعطي، ويجعله شيئاً فشيئاً تابعاً له يدور في فهمه، ويخدم مصالحه قبل أي أهداف ومصالح أخرى.

إن التصور المظلم الذي بات واقعاً، منذ نشأة وتكاثر منظمات المجتمع المدني، مع أنها الداعمة الوطنية المطلوبة في المستقبل للدولة السورية القادمة، يدعو بشكل ملح لرسم خارطة فك الارتباطات الخفية، التي بدأت تلوح نتائجها وروائحها لشخوص، باتت ديمومة وظيفتهم ورواتبهم لديهم أهم من النفع المترتب عليه، وهو أصلاً ما تم توظيفهم بناء عليه، فقد لاحظ كثر متعاقبين من ذوي الحياد، وحتى العاملين في ذات الشأن المدني، أن كفة ترجيح الدعم المالي،باتت للوبيات تمخضت بناء على ايدولوجيات، كثير منها لا يتماهى مع هوية الشعب السوري، أو على الأقل لا يحترم ثقافته، حتى وان كانت تلك الثقافة بحاجة لإعادة النظر، ويعامل تأخره حول بعض المفاهيم، بطريقة صدامية لن تجر الا للمزيد من التفكك والنفور.

بدأت مثل هذه المنظمات، التي (تمتلك الحق) بتوزيع المساعدات السورية، لتتصرف بها على أنها أعطيات توهب للمشاريع الإغاثية فقط، فيتم عبرها شراء ذمم المستفيدين للأسف على المنظور البعيد، ولم نشاهد على العموم الأكبر أي اهتمام بمشاريع تنموية تغني صاحب الحاجة الدائمة من التسول الاغاثي، على كافة أشكاله وأحواله، ليستمر وضعه في دائرة الكسل والارتهان لمثل هذه المنظمات.

قليل جداً من تلك المنظمات التي اهتمت بتمويل مشاريع زراعية كبيرة، بدلاً عن الاتجار بسلال غذائية مع أنه من المعروف أن الأراض السورية أراض زراعية خيّرة وخصبة، وتفعيل العمل فيها يعطي فرصاً كبيرة للعمل وبالتالي استقلالاً فعلياً مالياً عن سؤال المساعدات.

لم نسمع عن مشاريع تعيد توطين اللاجئين، خصيصاً في الداخل السوري، وبالعكس سمعنا عن محاولات باتت مخجلة من محاولات استدرار العطف عليهم، والتسول باسمهم، في كل اضطراب طقسي، خصيصاً في فصل الشتاء. شاهدنا المناشدات الحارة لشراء خيم وملابس شتوية تقيهم البرد، وقليل جداً، بل ونادراً ما سمعنا عن أحد حاول أن يعيد ويساعد هؤلاء على العودة لقراهم ومدنهم، التي لا يطالها قصف أو نزاع مسلح، ويعيد تأهيل شيء من فقرهم المستدام حيث كانوا مغمورين لا يدري بهم أحد منذ عشرات السنين.

إن الاستثمار الوقفي في مشاريع بناء الانسان، وسد حاجاته المستدامة والأساسية وهو يتمتع بالكرامة والقدرة على الحصول على فرص عمل، حتى وان كانت ضئيلة المردود لا تزال مغيبة، وهي الحلول المرتجاة للواقع السوري المفعم بالجراح.

ولا تزال الغالبية العظمى من هذه المنظمات الاغاثية، تتعامل مع الواقع من باب الاسترزاق، الذي قد يهدد مصدر عيشها بالأفول، وهكذا تستمر دائرة الحاجة والفاقة والمنفعة، وما يترتب عليها من سلبيات وخمول وارتهان سياسي مستقبلي، ويستمر الحلم بالحصول على كرامة مرتجاة، مجرد أضغاث أحلام في صحراء غير متناهية، من الجشع والاتجار والارتزاق بأحلام المعوزين والمشردين الفقراء.

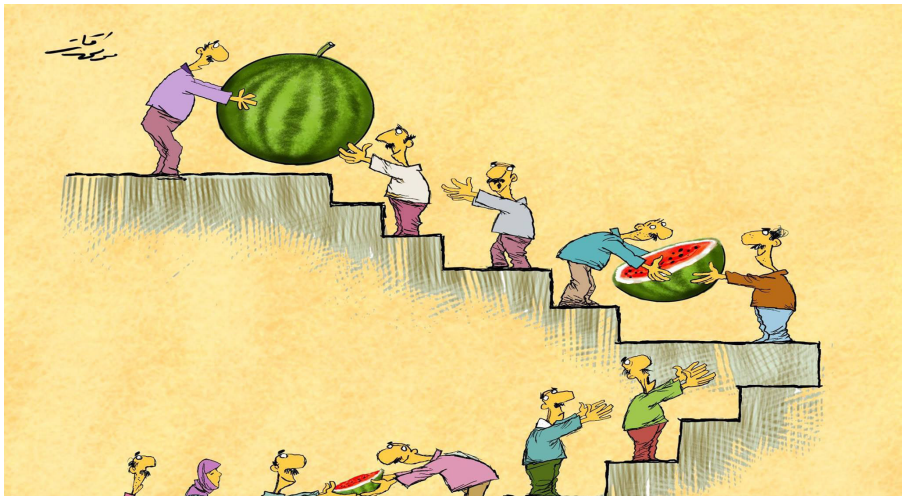

يدي ممدودة إليك

أسعد شلاش

أنت تكبرني بسنين وقد أكون أصغر منك بأشهر والاختلاف بين حيثيّات المكان الذي ولد كلّ منّا فيه كثيرة، لون بشرتك يختلف عن لون بشرتي، وقامتك تزيد أو تنقص عن قامتي، وباختصار لاشيء في ميزاتك الشخصيّة يشبهني وإن تقاطعت بعض الحروف من اسمك مع حروف اسمي.

أمّي هادئة المزاج ولدتني قبل التسعة أشهر، وحسبها ونسبها يختلف عن نسب أمّك، والدي قصير القامة وهو شبه أمّيّ، ويكسب قوته من عمله اليوميّ وهو من عائلة صغيرة لاتدين بدين والدك الذي يزيده طولاً ووسامة، وينتمي لقبيلة كبيرة ومعروفة ولديها شجرة عائلة وأصل وفصل وميسورة على الصعيد الماديّ.

لاأعرف أحداً من أجدادي فقد توفّوا جميعهم قبل أن أرى النور، لم أكن يوماً متعصباً لأسرة أو عائلة أو قبيلة، شاءت الظروف أن يكون تحصيلك العلميّ أعلى من تحصيلي، فقد كنت مصرّاً حتّى أثناء السنة الدراسيّة أن أتخلّى عن المدرسة لبعض الوقت من أجل أن أعيل أسرتي وأعتقد كذلك أنّك تفوقني ذكاء، من ناحيتي ما زلت أعتبر أنّ القراءة مهمّة بالنسبة لتوازني على المستوى الشخصيّ، ولا أعرف إن كنت تشاركني رأيّ هذا، أم أنّك رجل عمليّ وواقعيّ لاتكترث كثيراً بأحلام الرومنسيّين.

أنت تستمتع بالموسيقى الغربيّة الكلاسيكيّة، أمّا أنا فأسمع العتابا وأستمتع بها وأعشق الشعر بشقّيه القديم والحديث أكثر ممّا تتصوّر، معلوماتي في التشكيل ومدارسه قليلة نسبيّاً. ماترتديه من ثياب لا يروق لي أبداً وأعرف أنّك أنت كذلك، ذوقي فيما أستسيغه من المأكولات يختلف عن ذوقك ويتقاطع معه أحياناً، همومك على الصعيد الشخصيّ بعيدة كلّ البعد عن همومي، فأنا ليس لديّ أي رغبة في أنّ أتعاطى مع الشأن السياسيّ، وأمقت الأحزاب وبرامجها ومكائدها وانتخاباتها، إن كانت مزوّرة أو غير ذلك أكتفي بالموجز من نشرات الأخبار، أمقت القمع والاستبداد وروحي مجبولة بالحريّة أحيا كما كلّ أهلي وناسي، أتألّم لألمهم وأفرح لفرحهم. باختصار تهمّني كثيراً قضيّة الوطن والناس ولا أفلسف هذه الأمور ولا أنظر لها كثيراً وأشهد أنّك رجل سياسة محنّك ولا أحسدك على ذلك، ليس لديّ أيّ طموح على الصعيد الماديّ سوى أن أعيش مستور

الحال، وهنيئاً لك على ثروتك إن ورثتها أو جمعتها من تجارتك.

أنا أصدّق كلّ ادّعائك بأنّك تعمل ليل نهار من أجل خدمة الشعب والوطن، ولا أتّفق معك باتهام خصومك السياسيّين بأنّهم ليسوا وطنيين وأنّ الوطن والشعب لايعنيهم بشيء.

لا أدّعي صحّة موقفي من التراث بالمطلق، وكذلك أنظر لموقفك فقد يكون أحدنا أو كلانا متطرّف إن كان يميناً أو يساراً.

أحياناً أشعر أنّني شخص ماضويّ على الصعيد الشخصيّ، فالحنين يشدّني دائماً إلى مكانيَ الأوّل وناسه، وفي الوقت ذاته أتعامل بحبّ مع كلّ جديد وأؤمن كثيراً بالمستقبل لاأعرف إلى أيّ حدّ تماثلني في تطلّعاتي هذه، ولا يهمّني كثيراً إن اتّفقنا في القليل أو الكثير من الرؤى لا أدّعي أنّني أملك الحقيقة في أيّ من المعارف واستهجن كلّ من يدّعي ذلك، أستغرب كثيراً ممّن يكون حقده أو انتقامه صفريّ، أنظر بعين الشفقة إلى تنازع البشر فيما بينهم من أجل مصالح ضيّقة أو لخلاف في الرؤى والأفكار.

أقرّ بأنّني حالم ورومانسيّ وموزّع مابين الواقع والخيال وأحسدك على واقعيّتك وحسن تدبيرك. أعشق البادية وصمتها وأعرف أنّك تكرهها وتعشق البحر.

أحبّ أن أستمع أكثر من أن أتكلّم، ولا أعترض على هزرك وكثرة كلامك، ولا أخفيك أنّني قد أجاملك أحياناً في اليوميّ والعاديّ من الأمور، ولكن بالنسبة للمواقف الفكريّة الجادّة فقد أختلفت وإياك عدّة من مرّات، ولكنّني دائماً أحترم لك قناعتك.

أكره السخرية والتندّر بالآخرين وخاصّة الضعفاء والبسطاء وأعرف أنّك كذلك مهما حاولت واستفضت في تعدّد ما نجتمع وما نختلف عليه ولو في الظاهر فقط، فلن أستطيع، فما بالك بما هو غير ظاهر؟ بما هو كامن في الأعمق من النفس وما تنطوي عليه من تناقضات وعقد وأمراض، ولو امتلك كلانا الجرأة وأفصحنا عنها لقامت الدنيا فيما بيننا وعلينا ولم تقعد، ومع ذلك فأنا أرى أنّ ذلك من طبائع الأمور وقناعتي الراسخة أنّ الحياة أسّها وأساسها وجوهر جوهرتها التناقض والاختلاف، حتّى بين الجمادات فلا شجرة ولا حجرة ولا ذرّة تراب تتطابق مع أخرى، فما بالك بعقول وأنفس وأرواح تكوّنت أحاسيسها ومشاعرها في شروط مختلفة في الزمكان، فالكائن ابن شرطه إضافة إلى تمايز المصالح والأهدف فيما بعد.

وسواء آمنت بما أورده من بعض الاختلافات والخلافات بيننا أم لم تؤمن فيدي ممدودة إليك وألتمس منك إن تمدّ يدك، وأكثر من ذلك أعلن أنّني مستعد لإسقاط الكثير من المختلف عليه بيننا علّنا نلتقي في وسط الطريق، وإن شئت في الثلث أو الربع الأقرب إليك لنبني وطناً وإن لم تقبل دعوتي فاعذرني لأنّني مضطرّ أن أخرج عن هدوئي وأمزّق صمتي وأعلن بكل وضوح وجرأة وعلى الملأ أنّه في إقصائك لمن سواك تتحمّل مسؤوليّة لا تقلّ عن مسؤوليّة عصابات الطغاة في كلّ هذا القتل والخراب والدمار، ومن يساهم في تخريب الوطن ولا يعبأ بناسه، وكن على يقين أنّك لن تستطيع أن تبني وطناً أنت وقبيلتك وستظلّ مقيّد بقيود القبيلة مهما كان اسمها ودينها ولونها وعرقها، وستظلّ مستعبداً لقبيلتك وشيخها وأعرافها ولن تعرف طعم الحريّة

منظّمة اغتيال المستقبل أو..

مهرجانات خنق الإبداع

بشار فستق

رائد ومؤسّس المسرح الغنائيّ في بلاد الشام ومصر «أحمد أبو خليل القبّاني» (1833 - 1903)، والذي قدّم نحو 40 مسرحيّة غنائيّة في مسقط رأسه دمشق، ثمّ غادر إلى مصر وذاع صيته أكثر حين عرض «أنس الجليس» عام 1884، فأثرى الحياة الفنّية هناك، وصار مدرسة كان من تلامذتها الشيخ «سلامة حجازي»، واستمرّت مع بدايات القرن العشرين عبر «سيّد درويش» وغيره، حتّى وصلت في لبنان على يد الرحابنة في النصف الثاني من القرن الماضي إلى قمّة جميلة.

أمّا في سورية فلم يقم لهذا النوع من المسرح قائمة مذ سافر «القبّاني»، ومع أنّ الحياة الثقافيّة شهدت نهوضاً فترة الاستقلال، كما ظهرت حركة مسرحيّة نهاية الستّينات في مختلف المحافظات، إلّا أنّ المسارح لم تحظَ بعروض غنائيّة، ورغم اكتساح الأفلام الغنائيّة المصريّة لدور العرض السينمائيّ والإقبال الجماهيريّ الكبير عليها، فقد اكتفت بعض العروض المسرحيّة بإدخال أغنية ما بشكل عرَضيّ، أو تلحين جزء من الحوار (مثل مسرحيّات دريد لحّام) التي لا يمكن اعتبارها من المسرح الغنائيّ.

جاء إيجاد منظّمة «طلائع البعث» عام 1974، وهيمنتها على عالم الطفل في سورية، ضربة استباقيّة لآفاق الإبداع وخنقاً للمواهب التي قد تنمو خارج قالب النظام، فالمنظّمة نصّبت أجهزتها وليّة على مستقبلنا، وفرضت سيطرتا بحجّة النهوض بفنون الطفل، حين قالت في تعريفها عن مهمّاتها: «يعدّ مسرح وأغنية الطفل أحد الميادين التي كرّست إمكانيّات الجيل للنهوض به»، وخصّصت هذه المنظّمة، التي نقلها «حافظ أسد» عن الديكتاتوريّات الاشتراكيّة، لهذا «النشاط» أسبوعاً في السنة، أطلقت عليه تسمية «المهرجان القطريّ السنويّ» تقدّم فيه «النشاطات المسرحيّة والغنائيّة والشعبيّة».

من خلال هذا «المهرجان» تمّ تكريس نوع من العروض المتطابقة تقريباً والمستنسخة من بعضها شكلاً ومضموناً، فهي مدائح لـ « الأب القائد» أو «منجزاته وقيمه و..» وحتّى لو كان موضوع المسرحيّة عن الصدق فيُستشهد بأقوال «القائد». ومن ناحية الشكل، ترى الديكور ذاته في مجمل العروض بمفرداته وألوانه، وكذلك الأمر في اللباس.

جميع هذه العروض كانت غنائيّة، وبأسلوب واحد في الأداء، تلك النبرة الصوتيّة الموحّدة وتلك التلويحات والتأشيرات بالأيدي، والرقصات والدبكات والأغنيات؛ واللافت أنّ الصوت مسجّل في العروض كافّة، وأنّ التلفزيون يصوّرها ليعرضها ثانية وثالثة خلال برامج الأطفال.

سيطر طَغام لعشرات السنين على هذا الفنّ - كما في كلّ مناحي الحياة - فكانوا يقيمون المهرجان لينهشوا الأموال ويشيعوا الفساد ويقولبوا عقول الأطفال في الأحذية الصينيّة، وكانت تلك المنظّمة واحدة من تلك الأدوات؛ فما هي بدائلها اليوم للطفل السوريّ؟

منظّمات كثيرة تتعامل في شؤون الأطفال السوريّين، منها أمميّة للطفولة (يونيسيف) أو للتربية والعلم والثقافة (يونسكو)، وأخرى تابعة لدول أو مجتمع مدنيّ؛ لجميع تلك المنظّمات أجنداتها.

بعيداً عن نظريّة المؤامرة، نريد أن نتساءل: كيف نواجه هذا الضخّ بخاصّة في مجالات المعرفة والثقافة والفنون للطفل السوريّ، إذا لم يكُ لدينا في ثقافة المعارضة رؤية واضحة وخطّة وأدوات للمواجهة؟

وتحديداً أكثر، ما هو المطلوب لتكوين نواة تُعنى بالطفل ثقافيّاً وبأسلوب عمليّ؟

لعلّ مسرح الطفل بعمومه يكوّن المؤسّسة الثقافيّة الفنّيّة التي تؤدّي أكثر من وظيفة، فهو حاجة أوّلاً؛ وبشكل أدقّ، ربّما كان المسرح الغنائيّ الحقيقيّ المفقود من أكثر من مائة عام، أو المشوّه بفعل ما ناله خلال العقود الأربعة الأخيرة، بداية لطريق ضروريّة ثانياً.

يبقى أن نبدأ بتجارب فنيّة – علميّة، يساهم فيها المختصّون السوريّون من فنّانين وخبراء في شأن الطفل، بإزالة عوالق «طلائع البعث» كاستهلال، وهم بذلك يحرّرون مواهب أطفالنا، وأن تجرى هذه التجارب في البيئات المختلفة التي نعيش فيها، لتُخلق حكاياتنا وأغنياتنا الجديدة، بمنأى عن جرائم فُسّاد الماضي، أو إحباط الحاضر.

قد لا يوجد الآن بين السوريّين «قبّاني»، لكنّه كامن فينا وبيننا لو عملنا معاً، مستهدِفين نور الحرّيّة الآتي من فنّ جديد.

ومن نافل القول: إنّ بناء الغد يأتي بالعمل مع طفل اليوم.

حزن النّساء في لوحات الفنان "صفوان داحول"

عبد الرزاق كنجو

يحرص المبدعون من الكتّاب والشعراء والفنانين التشكيليين على تعدد وتنوع المواضيع التي يتعاطون معها في انتاجهم وابداعاتهم , حتى لايكونوا في موضع اتهام بالنمطيّة الواحدة أوالتكرار في معالجاتهم , لذلك نجدهم ينتقلون بين المديح والهجاء أو يسرحون مابين الفرح والأحزان. . أو بين الأمل والتشاؤم.

لكننا نجد انّ لوحات الفنان التشكيلي صفوان داحول تنهج وتسير في طريق واحد , ولاتستطيع التّحرر فيه من مسحة الحزن الدائمة والمرافقة لعناصر لوحاته التي غالبا ماتجمع بين امرأتين متناسختين , ومتشابهتين ومتجهتين بإتجاه واحد وبألوان شاحبة مسطّحة , تخلو من العمق والبعد الثالث في اللوحة حتى لنظن من الوهلة الأولى بأنّ اللّوحة مشغولة بطريقة تلصيق المسطّحات اللّونية من الورق .

لذلك نجد أنّ نظر المشاهد يصطدم فوراً بسطح اللّوحة الأملس , وكأنه ينظر في مرآةٍ عاكسةٍ قريبةٍ منه ومواجهة اليه , فتنبهه أولاً ومن ثمّ تحضّه على التمعن والتفكير.

والسؤال: ماذا أراد الفنان صفوان داحول أن يقول.

لقد امتازت معظم أعماله الفنيّة بالملامح الفرعونية , واختار تنفيذها بشكل جانبي وباتجاه واحد نحو اليمين , ولشدة التشابه في أشخاصه , أصبحنا نظن أنّه يرسم من « موديل « واحدٍ , يجلس أمامه دائماً. لكننا عرفنا فيما بعد بأنّ ذلك الموديل , إنما هو من الخيال الذي لم يفارقه حتى بعد وفاة الزوجة التي واكب هو مرضها الطويل واعتبرها مهبط إلهامه المتكرر مضيفاً لها مسحة الحزن الأبدية.

إنّ الألوان الرّمادية المختلطة بقليل من الأصفر , لتكاد تذكّرنا بمرحلةٍ معيّنةٍ من مسيرة الفنّان لؤي كيالي التي عانى منها بظروفٍ مشابهةٍ لما يعانيه صفوان داحول من مرارة المحيط السّياسي والاجتماعي الذي مرّ على شعبنا السوري إثر هزيمة حزيران عام 1967 . اذ أنّ الفنّان وليد مجتمعه يواكب أفراحه وأحزانه , لذلك نجد الفنان صفوان داحول يغادر البلاد السورية منذ بداية الثورة الشعبية مؤخرا وهو يقول:

«إنّ مايحدث في سورية على كافة المستويات يدعونا للإحباط , وانّ الهجرة أو متابعة مايحدث قد شتت الأفكار ولم يعد المنتج الفني يحمل شكلاً محدداً بل متناقضاً ليقف الإنسان مذهولا مما يحدث في سورية».

لقد امتازت لوحات الفنان صفوان داحول بمساحاتها الكبيرة , لذلك أصبحنا نجدها في صدارة الصالات وعلى الرغم من اختصار عناصر اللوحة إلاّ أنها قد أُعدّت بعناية هندسية مدروسة، معتمدة على بناء متمكن في الرسم وعلى تركيز لافت على التوازن في مكونات اللوحة , لدرجةٍ أنّنا نشعر بضيق في تكويناتها على الرغم من المساحة الواسعة المخصصة لعناصرها.

وهذا مانلمسه بوضوح في سلسلة اللّوحات التي ينطوي فيها الجسم النسائيّ المتكوّر وينحشر على أريكة ضيّقة أو على كرسي متواضع من الخشب.

ولعله هنا يريد تصوير الجسم عند الألم ومواصلة الأوجاع التي رافقت الزوجة لفترة طويلة.

وهذا الوضع ربما كان يريد ان يعوّضه في رسم وتشكيل أصابع اليدين التي تفرّد في رسمها عندما لجأ للمبالغة في استطالة سلامياتها وكأنها تستجدي العون، أو لتكون لها بارقة أمل تستجدي المساعدة في الارتقاء نحو برزخ مجهول أو نحو السماء العالية.

وقد تذكرنا حركة تلك الأصابع الرشيقة بما نشاهده في الأيقونات القديمة للسيد المسيح وأمه العذراء المنتشرة في معظم الكنائس، ولعلها حركة توحي للمباركة واستجداء الرحمة للمرضى الصابرين، وغير بعيد عن ذلك نجده قد أضاف أجنحة رمزية أحيانا خلف الكتفين تيمّناً برمز الملائكة التي تحوف جسم الإنسان وتحميه.

لقد اعتاد الفنان صفوان داحول على ارتجال اللوحة دون الإعداد المكتمل لموضوعه، فهو حسب قوله يبدأ بعنصر لايتجاوز البداية البسيطة للوحة، ويستمر بتكوين لوحته حتى النهاية. . غير معتمد على الذاكرة السالفة وما تكتنزه وتحتويه، وانما يرسم الذاكرة ذاتها.

لاغرابة بعد كل ذلك إن كان قد اختزل ألوانه واختصرها بالرماديّات الشاحبة والمظلّلة بالأصفر، فهو إنسان حسّاس، ولد في مدينة حماة عام 1961 واعتصرت نفسه معاناة الأهل والبلد بعد الثمانينيات من القرن الماضي والتي خلّفت المصائب والمآسي على معظم البلاد والعباد حتى غادرها بعد ثورة الحراك الشعبي قبل سنوات تاركاً موقعه كدكتور في كلية الفنون الجميلة بدمشق قائلا:

« مايجري اليوم في سورية هو اغتيال لكل ماهو انساني، ولايزال هناك أكثر من مليون طفل سوري في العراء. . ومازالوا يحلمون بالعودة الى بيوتهم ومدارسهم».

نعم.. خرجت من "سوريا الأسد"!

بعد أن اتخذت قراري الخروج من سوريا، شعرت بشعور غريب، شعورهو مزيج من الهواء الثقيل والحرية الفردية التي ما عشتها أبداً رغم بلوغي الخمسين، في هذه اللحظة التي أجلتها ثلاث سنوات قضيتها في متابعة أدق الأخبار العسكرية والسياسية والأمنية الخاصة بكل منطقة في سوريا، في هذه اللحظة تدفق عرق غزير من كامل جسمي، كأنه الخوف المطلق وقد تجلى في لحظة واحدة، أو لعلّه تراكمات خوف أربع سنوات وربع السنة من القصف والقتل والموت، وانتظار الاعتقال أو الخطف أو الموت عبر قذيفة عابرة.

أعرف أن مئات الآلاف من السوريين سبقوني وهربوا من صورة الطاغية بشار البغدادي الجولاني، وأعرف أن نهر بكاء ينتظرني عندما أصل لبلد آخر غير سوريا، بلد لا تطلب فيه هويتي عشرات المرات وتفتّش، وأعرف أيضاً أن محاولة تعلم لغة أجنبية في عمر الخمسين يشبه تعلم السباحة في عمر المائة، ولكن لابدّ من الهرب فصوت ابنتي ووجهها جعلاني أترك كل شيء وأخرج هارباً، لا من أجلي، من أجل أن تعيش في بلد لا توجد فيه صور بشار وشركائه، من أجل أن تتعلم في مدرسة لا تحفظ فيها غصباً عنها أن "القائد الخالد حافظ الأسد" هو من حرر القنيطرة و أنه بطل قومي وعروبي، ويجب أن تحفظ بصماً ذلك بينما وفي نفس اللحظة التي تقرأ فيها ذلك مدافع بشار تنهمر على دوما وداريا وجوبر.

أن أهاجر من أجل ابنتي يعني: أن تتعلم في مدرسة لا يكون فيها مدير المدرسة مخبراً لكل فروع الأمن، ولا يكون فيها مدرس الاجتماعيات عنصرا في كتائب البعث، ولا يكون فيها المستخدم مخبراً للمدير، ولا أضطر إلى ايصالها يومياً إلى باب المدرسة وثم إرجاعها، لتسمعني في البيت تلك الأغنية التي حفظتها في المدرسة: "نحنا رجالك يا بشار".

أريد لابنتي أن تحبّ وترفع صوتها باسم حبيبها، أن تعشق الشعر والفن والسباحة، أن تكتب ما تريد بلا خوف ولا رعب، أن تعيش في بلد لا توجد فيه قيادة قطرية ولا أربع أفرع للأمن تحصي أنفاس الناس، أن تعيش في بلد تنام فيه مطمئنة على حياتها.

أريدها أن تتعلم في جامعة لا تمجد آل الأسد و"أمجادهم الأسطورية"، و ألا تتعلم أي شيء، أريدها فقط أن تعيش كما تريد، دون أن تلاحقها المخابرات بسبب قصيدة شعر. أريدها أن تلبس ما تريد هي لا ما تريد داعش والنصرة، لا ما تريد منظمة طلائع البعث والشبيبة..

ومع ذلك وحين ودعت أصدقائي قبل السفر سبحت في الدموع، كنت هارباً منهم لأنني أحبهم، هارباً من الموت الذي ينتظرنا مع كل دقيقة، مع كل خطاب أو ضحكة للوريث.

ولعل شبيح ما يرتدي قفازات الوطنية في الداخل سيقول أنت هربت من "حضن الوطن" يقول ذلك وهو ينظف باروته الروسية على أنغام أغنية أذينة العلي وهو يغني "يا أمي يا سوريا".

نعم يا عاشق أذينة العلي وعائلة الديك الأسدية، ويا عاشق العبودية، هربت من الذل الذي كان يلاحقني على باب الفرن حيث بنادق الأمن تعربش على شرف الناس وتدوس كراماتهم، حتى في نافذة الخط العسكري لا يقف هؤلاء القتلة، نعم هربت من الشبيحة وهم يسرقون عمرنا وحياتنا وما تبقى من أحلامنا. هربت من الرئيس و نائبته العطار، ومن وزير إعلامه. "الصحاف الزعبي".

هربت من البلد الذي صار كله حواجز لبشار وشركائه، وعلى كل حاجز ينظر الموت لك من خلال عيون العسكري الراصد لأنفاسنا، هربت من أكوام الشعارات وهي تخنقنا في الطرقات، من صور الوريث وعائلته ومن ضحكته البلهاء ونظرته، وهربت من النفاق والكذب من التلفزيون "الوطني" وهو يرقص فرحاً على أجساد أطفالنا الذين يقتلون عبر براميل بشار.

هربت أيها القاتل من التعفيش ومن القتل والخطف، من الغلاء القاتل، من تجار "القائد" وهم يمصّون أرواحنا بأسعارهم "المدروسة".

ولعلمك أيها العفيش، كان عندي سقف، ولكن لم أشعر فيه بالأمان والفرح، حتى عندما نضحك كحل حياتي ناجح لمواجهة الحياة، كان الخوف يتسلل مع الضحكة، نحن رضعنا الخوف لا حليب أمهاتنا في ظلّ رايات البعث " الخفاقة".

أعرف أن بقية بلدان العالم ليست جنان الخلد، وسوريا الناس تسكنني أينما رحلت، وأعرف أنّي قد لا أعود، ولكن لديّ إحساس أنني هنا سأقدم لها ما لم أستطع أن أفعله وأنا محبوس في حضن المخابرات والكتائب والحواجز ودفاتر البعث.

هربت من سوريا الأسد، لأصنع في غربتي وطناً من القصائد تعيش فيه ابنتي، لأصنع معها خيمة من حروف الحياة، خيمة هجرة مستمرة.

ويكفيني هنا أن أسمع من ألتقيهم أن هناك سوريين يستحقون العيش بكرامة وقد هتفوا للحرية، ومازالوا يهتفون، وأنهم يحتاجون فقط لمن يحميهم من هذه الإبادة الجماعية المستمرة بحقهم، ليبنوا سوريا كما يشتهون

مصطفى علوش

الأورينت

ألف الجديدة
عطر زيتون
CENTRAL BANK OF SYRIA
ONE THOUSAND SYRIAN POUNDS
1000
وبعد
1000
فارس قره بيت

فارس قره بيت
شفت الـ ١٠٠٠ ليرة الجديدة ؟!
ليش القديمة كيف شكلا ؟!!